

"ليستراتا ... كما لم يكتبها أرسطوفان" الكوميديا الأرسطوفانية حُدَّ تربيوي لعالم اليوم؛ العالم الحديث

روو

مارو لياتسو*، ترجمة: إيفانجيليا علاونة*

مقدمة:

"ليستراتا" المسرحية اليونانية العائدة إلى (411 ق.م)، هي واحدة من المسرحيات الكوميديا لأرسطوفان،¹ التي ليس من السهل تحويلها إلى مادة تعليمية ومقاربتها في السياق التربوي بشكل عام، وبخاصة مع طلاب صغار السن، وذلك لجملة من الأسباب، منها:

- اللغة المستخدمة في النص وما فيها من لغة حسية وجسدية، فيها مباشرة الطبيعة وجرأة الأدب القديم، حيث تتضمن الكثير من الأحاديث الجنسية على شكل إشارات وإيحاءات.
- العمل المسرحي نفسه يعتمد بالأساس لا على الإيحاءات الجنسية فحسب، بل لأن الجنس ينطوي فيه كموضوع مركزي بعد موضوع الحرب وفي مواجهتها، وهذا ما جعل موضوع هذا العمل المسرحي موضوعاً مغامراً.

ومع بدء تطبيق هذا القرار، يعم الحصار الجنسي جميع أنحاء اليونان؛ حصار للرجال، وموقف ضد الحرب، يليه تحرك ليستراتا مع الأثينيات، والاستيلاء على هضبة الأكروبوليس،⁴ للسيطرة على مركز القوة، وعلى الأموال العامة: حصار جنسي يحرم الرجال من الاستمتاع بنسائهم، وحصار مالي لا يمكنهم من شراء مستلزمات الحرب. الرجال الذين تسيطر عليهم الدهشة من غرابة الموقف، يلجأون في البداية للمقاومة، وهنا يبدأ الصراع الذي يشكل جوهر العمل المسرحي.



المسرحية وأهميتها التعليمية

من الممكن أن تتخطى المقاربة الدرامية في الفعل التعليمي الإيحاءات الجنسية من خلال مقارنة الموضوع بشكل مسرحي؛ أي بنظرة فنية مسرحية، لكن ثمة سؤالاً أهم: كيف يمكن مقاربتها بشكل يساعد الطلاب في استكشاف أهمية هذا العمل المسرحي الراهنة، وصلاحيته لمناقشة قضايا ملحة في وقتنا الحالي؟

في العادة، يفهم الكثير من الناس "الليستراتا" كموضوع نسوية؛ أي باعتبارها نضالاً نسوياً في سياق الكفاح النسوي ضد التاريخ الذكوري؛ بمعنى أن النساء، وفي موقف يتسم بالشجاعة والمغامرة، يرفضن دورهن الجنسي، ويتحدين هذا الدور عن طريق قيامهن بثورة ضد رغبة الرجل.

لكن الموضوع المركزي في "الليستراتا" لم يكن هكذا، وإنما هو في أصله، وبالأساس، عمل ضد الحرب، ودعوة لمواجهتها. وإذا نظرنا إلى هذا العمل على مر القرون، فإننا نرى أنه يمثل صوتاً من فئات الشعب، هو صوت المدنية غير المسلحة، البريئة من مسؤولية الحرب،

فكرة المسرحية

فبينما تستمر حرب البيلوبونيز² بين اليونانيين وخصومهم الإسبارطيين وتطول، تزداد عذابات الأثينيات ويصلن إلى حافة الإحباط وفقدان الأمل بسبب غياب الرجال الطويل عن المدينة، وبسبب ما يقع عليهن من أعباء وويلات، وهنا يظهر الدور المهم الذي تلعبه ليستراتا³ الشخصية الرئيسية في المسرحية عندما تقوم بإقناع نساء أثينا بالوقوف ضد الحرب، من خلال الاتفاق مع نساء المدن الأخرى من كلا طرفي النزاع (صفوف الحلفاء أو صفوف الأعداء) باتخاذ موقف ضد الحرب، موقف موحد ضد الرجال المحاربين.

ويمثل الموقف المتخذ من قبل النساء ذروة العمل المسرحي وعقدته المركزية، ويتلخص في قرار النساء الامتناع عن معاشره أزواجهن ما لم يقرروا وقف الحرب الدائرة بينهم.



قواعد عامة

1. نبحث مع الطلاب بعمق عن وسائل المقاومة غير الحربية التي تم استعمالها في المسرحية، باعتبارها جزءاً مهماً من رؤية العمل، ووسائل شعبية مقاومة في مواجهة الحرب؛ هذا هو الهدف الحقيقي للعمل.
2. مثلت المسرحية سياقاً تربوياً لتجربة تعليمية تمت في مسرح الأطفال والشبيبة في بلدية غالانس اليونانية في العام 2001، وأيضاً في مسرح الأطفال والشبيبة في بلدية بيتروبول اليونانية العام 2005.
3. النص الذي استخدم في النشاط كان قد تم التصرف به ليتلاءم مع الواقع، وبمشاركة من الأطفال أنفسهم. وقد وصل عدد الأطفال المشاركين في الحالتين حوالي 50 طفلاً بأعمار تتراوح بين 5-15 سنة.
4. إنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هذه كانت نشاطات غير منهجية بالنسبة للمدارس. وقد عمل الأطفال وتدربوا من خلال مجموعات صغيرة، وفي نهاية السنة الدراسية عرضوا العمل بشكل متكامل، وتحت عنوان "الليستراتايس ليس كما كتبها أرسطوفان".

ولذلك، سأتناول الكيفية التي تمت بها المقاربة من خلال نقاط محددة، تم استخدامها في تناول المسرحية لتحقيق الهدف التربوي المبتغى، الذي أوضحناه فيما سبق.

خطة العمل في السياق التعليمي

النشاط (1): التعرف على موضوع التعلم (الدراما)

الهدف: تنشيط معرفة الطلاب بالدراما كسياق لنشاط تعليمي من خلال الحصول على معلومات من الأطفال حول ما يعرفونه عن "الليستراتا"، وذلك من خلال توظيف أسلوب العصف الفكري والذهني (Brain Storming)، يرافقه جمع لما ينثره الطلاب من أفكار، وتصنيفه، وتصويبه، وربطه ليرسم صورة واضحة.

ومع ذلك فإنها تساهم في دفع فاتورة الحرب، وتعاني بالدرجة الأولى من ويلاتها وآثارها.

الحرب وكوارثها على الفئات المدنية

يمكن لهذا الصوت المختلف في المسرحية أن يتحول إلى كوميديا، ولكن هذا لا يغير من القصة الأساسية، ألا وهي معاناة هذه الفئة المدنية البريئة، فالإحصائيات والأرقام تؤكد أن معاناة هذه الفئة تكون في العادة أكبر مما هي عليه بين الجنود المتحاربين. ويكفي أن نصغي إلى الأخبار اليومية، لنصل إلى هذه القناعة التي تظهرها الإحصائيات والأرقام.

إن الهدف الأساسي من تناول "الليستراتا" كسياق تعليمي هو العمل مع الطلاب لاستكشاف حقيقة المسرحية، وكيف يمكن أن تنطبق هذه المسرحية (وما فيها من لمسة حثية وبراعة) على الزمن الحاضر، وكيفية تجاوز المعوقات التي تحول دون فهم القصد الحقيقي لهذا العمل. بالمقابل، يجب علينا مساعدة التلاميذ في كيفية ربط السبب بالواقع الحالي، وإيضاح كيف أن روح هذا العمل الذي كتب قبل 2500 سنة لا تزال حية، ويمكن أن تنطبق على الواقع الحالي. هكذا نبدأ بتقديم الدراما وتحويلها إلى عمل تربوي.

كيفية التنفيذ:

- يتحلّق التلاميذ جميعهم في حلقة، ويطلب المدرس من كل واحد منهم أن يساهم بما يعرفه عن "الليستراتا" وأرستوفان. وليس مهماً هنا أن تكون المعلومة كبيرة أم صغيرة، فضفاضة أم مكثفة، فالمجموعة كانت قد جمعت معلومات عن الموضوع في وقت سابق، وبالتالي فإن لدى كل واحد منهم شيئاً ومعلومة معينة من العمل أو عنه.
- في الخطوة التالية يقوم المدرس بتجميع ما قدمه الطلاب من معلومات، وتصلحه وتقويمه، ومن ثم إيجازه.
- يمكننا أن نطلب من الطلاب قراءة النص الأصلي، أو يمكننا أن نقرأ النص في حجرة الصف، أو عرضه بعد ذلك على شكل قصة أو كوميديا.

النشاط (2): ضحايا وأرقام . . لحظة إحصائية

الهدف: تمكين أعضاء الفريق المشاركين من الإطلاع على الواقع المعاصر.

كيفية التنفيذ:

- **الخطوة الأولى:** نعرض ما تم جمعه من الإنترنت في الصف، وعرض المعلومات التي تم جمعها من خلال منح المجموعة وقتاً كافياً لعرض جميع المعلومات والحالات، التي تم عرضها على النحو التالي:
- العراق (1990-2001): قتل مليون عراقي من الجوع والمرض نتيجة للحرب وما تلاها من حصار ومقاطعة اقتصادية دولية، على أثر احتلال العراق للكويت، منهم 56 ألف طفل.
- البوسنة والهرسك (1992-1995): أثناء الحرب الأهلية في سرايفو، قتل وجرح ربع الأطفال؛ أي أن واحداً من كل أربعة قد تأثر بالحرب. وفي البوسنة تم اغتصاب 20 ألف امرأة مسلمة، من بينهن فتيات لم يبلغن سن الرشد.
- ناميبيا (1980-الآن): ألفا شخص ضحية الألغام شهرياً، منهم 800 حالة وفاة، و1200 حالة إعاقة نتيجة فقدان أعضاء من الجسم؛ أي بمعدل ضحية واحدة كل 20 دقيقة، و80% من الضحايا هم من المدنيين.
- رواندا (1994-1995): أكثر من 15700 سيدة وفتاة وقعن ضحايا للاغتصاب. وتقريباً، كل فتاة بقيت على قيد الحياة بعد إنهاء الحرب كانت قد اغتصبت.

شكل المدنيون في الحرب العالمية الثانية 10% من الضحايا، وتتراوح نسبتهم الآن بين 80-90%، وبخاصة من النساء والأطفال؛ بمعنى أن نسبة المدنيين من ضحايا الحروب تضاعفت حوالي ثماني مرات.

- **الخطوة الثانية:** وثيقة للاطلاع: يتم عرض المادة رقم 3 من إعلان حقوق الإنسان التي تنص على أنه لكل إنسان الحق في الحياة والحرية والأمن.
- **الخطوة الثالثة:** نقاش ضمن مجموعات: يتم تشكيل مجموعات من اثنين لمناقشة المعلومات التي تم عرضها، من خلال السؤال الرئيسي والأساسي وهو: من هم الضحايا الحقيقيون الأكثر تعرضاً للويلات في مناطق الحروب في الوقت الحاضر؟

ومن خلال النقاش، وفي النقاش، توصلت المجموعات إلى نتيجة مفادها: أن المدنيين هم الضحايا الأساسيون للصراعات والحروب الحالية. وبالتوازي مع العمل المسرحي، نبين كيف أن أساس هذه الكوميديا تمثل بأن الحركات ضد الحروب يقودها دائماً، وفي الأغلب، المدنيون؛ أي النساء بالدرجة الأولى.

نشاط (3): الصور الساكنة

الهدف: استخدام أسلوب "تكنيك" الصور الساكنة؛ وهو أحد تكنيكات الدراما في التربية، وذلك لإدخال مواد مرئية ذات علاقة بالموضوع؛ مثل الحرب، والأبرياء، والمدنيين.

كيفية التنفيذ:

- يطلع المدرس الطلاب على مجموعة من الصور تظهر بعض آثار الحرب على المدنيين الأبرياء في مناطق الحروب.
- يتم تقسيم الطلاب إلى مجموعات عدة بمعدل شخصية واحدة في كل مجموعة تتكون من اثنين على الأقل.

- نختار إحدى الصور ونحولها إلى "صورة ساكنة"، وتقوم المجموعة بتمثيل وتجسيد ما تراه في الصورة، وإعادة تمثيله بشكل حقيقي، وبالتالي تتحول المجموعة إلى تماثيل جامدة غير متحركة (الصورة ساكنة أو السكون - تجسيد).
- نراقب ونلاحظ كيف مثلت المجموعة المشهد، ونركز على لغة الجسم "مواضع الأجسام، وأمكتتها في الحيز، وعلاقة كل واحد بالآخر، آخذين بالحسبان الجهة التي تمثلها كل مجموعة أو كل شخص، مع مراقبة جميع علامات الوجه وإيماءاته، ولغة الجسم باعتبارها أهم ما تحدث في العمل المسرحي.
- عند استخدام هذا التكنيك في الصف نهتم بـ:

- مدى انتباه الطلاب ومراقبتهم لتمثيل زملائهم، وبالتالي الوقوف على اهتمامهم بالتمثيل وتعزيزه.
- طرح أسئلة على المشتركين حول: ماذا ترون فعلاً؟ وليس ماذا تفترضون أن تروا.

النشاط (4): إنتاج أفكار

الهدف: استخدام تكنيك الدراما التربوية "البحث عن أفكار".

كيفية التنفيذ:

- نختار إحدى "الصور الساكنة" (Still Image) من تلك التي كونها في المشهد السابق، ونقوم بعملية تعقب الأفكار فيها.
- يضع المعلم يده على حافة الصورة ويسأل كل طالب: أين تجد نفسك؟ ولماذا؟
- يسأل المعلم كل من شارك في المشهد في موقعه: من الذي يتحمل المسؤولية؟ ماذا تقول عن هؤلاء الذين وضعوك في هذه الحالة؟

يساعد هذا التكنيك التلاميذ على التفكير وتحليل الحالة والوضع الذي وصلوا إليه، ويمثلونه في المشهد، كما يساعدهم في الوصول إلى الهدف الكامن وراء هذا النشاط.

النشاط (5): مشهد الحرب

الهدف: استخدام تكنيك الدراما في التربية "دراما الحرب"، من خلال إدخال تكنيك مسرح الصورة (Image Theatre) من أوغستو بوال.⁵

كيفية التنفيذ:

- يقسم الطلاب إلى مجموعتين.
- يطلب المعلم من كل مجموعة أن تجسد صورة ساكنة بعنوان "دراما الحرب" ويجب أن يكون كل من فيها من المدنيين وليس من الجنود.
- في هذا العمل لا تبقى الصورة الساكنة ثابتة، وإنما يحق لكل فرد من المشاركين فيه أن يقوم بتعديل ما في المشهد، من خلال تغيير ما، في وضعيات الأفراد ومواقعهم وشكل تجسيدهم للدور وغيره، بهدف تحسين الصورة وصولاً إلى الوضع الأمثل.⁶
- يقوم كل فريق بمراقبة صورة الفريق الآخر، وبالتعليق عليها ونقدها بهدف تحسينها وتطويرها.

يمكن تدريب التلاميذ مسبقاً على تكنيك مسرح المتدى لإنتاج مشهد الدراما في التربية "دراما الحرب"، بمعنى تدريب التلاميذ عملياً قبل دخولهم اللعبة المسرحية أو الصورة الساكنة. وفي هذا التكنيك يقوم التلاميذ بدور الممثلين والمشاهدين في الوقت نفسه. وبهذه الطريقة يتعلم التلاميذ ربط المشهد والمنظر بالمعنى، من خلال قراءة لغة الجسد، وتعبير الوجه، ووضع الممثل، وموقعه على المسرح.

النشاط (6): النص والصورة

الهدف: الربط بين "الصورة الساكنة" والنص؛ أي إدخال النص في الصورة.

كيفية التنفيذ:

- نختار واحدة من الصور بعنوان "الحرب".



- يختار كل واحد من الممثلين في الصور الساكنة أحد النشاطات أو الإحصائيات التي وردت في بداية العمل .
- تكوّن المجموعة الصورة، ويجسد كل واحد فيها حالة من الإحصائيات أو النشاطات المذكورة سابقاً، كي يدخل النص والحركة من خلال الاستعانة بهذه الإحصائيات أو النشاطات إلى المشهد، وبذلك تتحول الصورة إلى صورة ناطقة وحية وغير ساكنة كما كانت في المشهد السابق .
- بهذه الطريقة، ومع مقارنة هذه الصورة بالصورة الواقعية التي ظهرت في بداية العمل، نستطيع أن نعروض مسرحية "ليستراتا" . وهكذا، وبالتوالي، نستطيع تجسيد عدد آخر من المشاهد مثل كفاح بين "بروفلوس والنساء" ⁷.

النشاط (7): رقصة العجائز

الهدف: توظيف تكنيك "مستويات الوعي الخمسة" 8 في (الدراما في التربية).

كيفية التنفيذ:

- ندرس النص الخاص برقصة العجائز، ونكتب أسماءنا جميعاً على ورقة كبيرة، وكأنا إحدى العجائز المشاركات في الرقص؛ أي أن كل واحد منا يمثل دور عجوز مشتركة في الرقص، أو نكتب أحد الأسماء التي نعتقد أنها تتلاءم مع المشتركين في سباق الماراتون الخاص بالعجائز .
- على أرضية النص المتوفر، نناقش نشاطات رقصة العجائز، ونحاول فهم الهدف العميق لهذا النشاط . وللوصول إلى الهدف نستخدم النموذج التالي الخاص بتكنيك "مستويات الوعي الخمسة"، بحيث كل طالب ومن موقعه الممثل يجيب عما يلي:

أولاً: الفعل: ماذا أفعل - نوع النشاط؟

ثانياً: الدافعية الذاتية: لماذا أعمل - ما الهدف المباشر؟

ثالثاً: الاستثمار الاجتماعي: ماذا الذي أأمل / أتوقع تحقيقه من وراء هذا الفعل؟

رابعاً: النموذج التاريخي - القدوة: ما هو نموذجي / قدوتي؟

خامساً: الفلسفة: أفعل ذلك لأنني أو من بـ: هكذا يجب أن تكون الحياة .

هذا النموذج مهم لفهم هدف النص، ومهم أيضاً للظهور بشكل جيد في التمثيل في المشهد، كما يمكن أن يستخدم في أعمال مسرحية أخرى

مثل "رقصة العجائز" .

- بعد ذلك نكتب على ورقة كبيرة صفات العجوز، وكيف يظهر، وما هو مظهره وتصرفاته، وكيف يتحرك، وكيف يتكلم وغير ذلك من الصفات .
- تختار المجموعة اثنين أو ثلاثة من هذه الصفات؛ مثل: العجوز في العادة محذب الظهر، أو العجوز في العادة يمشي ببطء، أو العجوز في العادة يرتجف، ونحاول أن نقوم بدور العجوز، وبالتالي نمشي وكأننا عجائز؛ أي أن نعكس ونسقط الصفات التي اخترناها على أجسامنا .
- نجرب الشيء نفسه ولكن ضمن "إيقاع" محدد، يحدده المعلم للمجموعة . وفيما يتعلق بأخر مشهد في عرض الرقصة، نستطيع أن نحدد مكان دخول كل واحد منا إلى المشهد .

مارو لياتسو
كاتبة مسرح يونانية

الهوامش

- وتجاوز لكل الأعراف الدينية والثقافية والاجتماعية . . . ، ما أدى إلى نهاية دراماتيكية لخمسة قرون ذهبية لليونان .
- ³ هي الشخصية المركزية في المسرحية، وهي امرأة من أثينا تعمل على إيقاف الحرب من خلال إقناع كل النساء في المدن المتنازعة على القسّم بالامتناع عن معاشرّة أزواجهن حتى يكفوا عن الحرب .
- ⁴ تلة صخرية تسكنها آلهة اليونان المقدسة، وتكون في المسرحية مركز الصراع، حيث يحمل الرجال حزم الحطب أملاً في أن يبخلوا النساء ليتخلين عن ليستراتا في حين أن النساء العجائز يحمل الماء لإطفاء النار .
- ⁵ Augustu Boal، كاتب مسرحي برازيلي ابتدع مسرحاً سماه مسرح المقهورين اعتمد فيه على نظريات باولو فرييري وفرانز فانون، ومن مؤلفاته مسرح المقهورين، قوس قزح الرغبة، ألعاب للممثلين وغير الممثلين . وتكنيك الصورة الساكنة يعود إلى ما يعرف بمسرح الصورة لدى بوال .
- ⁶ هذا التكنيك مأخوذ من أوغستو بوال، ويسمى بتكنيك مسرح المنتدى أو المنبر (Forum Theater) .
- ⁷ "بروفلوس" هو ممثل المجلس المالي لأثينا، ويذهب إلى "الكربولي" حيث تحفظ أموال الدولة ليأخذ نقوداً يشتري بها السلاح، تمنعه النسوة من الدخول، وبدورة يحاول إقناعهن أن الدولة في خطر، وأثناء النقاش الدائر في تلك اللحظة تعلن النسوة أنهن قادرات على إدارة شؤون الدولة المالية، وأنهن أكثر من يعرف عن الحرب لأنهن أكثر المتضررين منها .
- ⁸ هذا النشاط من إعداد جين هولدن (Jane Holden) استعملتها في مساق في تعليم الدراما العام 1999 في كلية التربية / جامعة (UCE) في بيرمنجهام- بريطانيا، وهي تستند إلى أفكار دورثي هينكوت .

* معلمة الدراما، مارولياتسو (Maro Liatsou) حاصلة على شهادة البكالوريوس في الدراسات المسرحية من جامعة أثينا، وماجستير في الدراما في التربية من جامعة وسط انكلترا (برمنجهام، بريطانيا). حضرت العديد من ورش العمل وأدارت العديد من الحلقات الدراسية . ومنذ العام 1997 وهي تدرّس المسرح في المدارس الحكومية والخاصة، ومدارس المسرح، ولمجموعات الأطفال والكبار المسرحية . تعمل كمدرّسة للدراما في المركز الثقافي التابع لبلدية غلاتسي، والمركز الثقافي لبلدية بتروبولي وثلاث مدارس حكومية أساسية في غلاتسي . كما تقوم بمراجعة العروض المسرحية ونقدها وإعداد حكايات ومسرحيات كلاسيكية للأطفال . وهي عضو في العديد من الهيئات المسرحية . وقد كتبت هذه المقالة التي جاءت تحت عنوان (Λυσιστράτη όπως... . Δεν την έγραψε ο Αριστοφάνης) خصيصاً لملف الفنون والتربية في "رؤى تربوية" .

* رئيسة المركز الثقافي اليوناني "مقدونيا" رام الله - السفارة الإغريقية في فلسطين .

¹ أرسطوفان (448 ق.م - 385 ق)، كاتب مسرحي إغريقي، له العديد من المسرحيات من بينها "الضفادع، والزنابير، وبرلمان النساء" .

² حرب البيلوبونيز وقعت ما بين 404-431 قبل الميلاد، وهي صراع يوناني قديم بين أثينا وإمبراطوريتها من ناحية وبين البيلوبونيز بقيادة إسبارطة من ناحية أخرى، وقد قسم المؤرخون هذه الحرب إلى ثلاث مراحل . وشكّلت هذه الحرب إعادة ترتيب لوضع اليونان بما نشأ من تدمير وفقر وخراب اجتماعي واقتصادي وحروب أهلية، وبخاصة أن الصراع قام بين أثينا الديمقراطية وإسبارطة الأوليغاركية . وامتدت هذه الحرب اليونانية لتشمل جميع المدن وما ترتب على ذلك من أعمال وحشية وتدمير لمدن بكاملها

المراجع

- ستافروس تراسيفولوس (2000). كوميديا أرسطوفان .
- أرسطوفان (1997). ليستراتا، ترجمة: كوستاس توبوزيس .
- أرسطوفان (1993). ليستراتا، ترجمة: كوستاس جيورجو سوبولوس .
- زارابوكا، صوفيا، 1993 .
- جوفاس، نيكوس، 2002 .
- NEELANDS, Jonathan (1995) Structuring Drama Work, CAMBRIDGE UNIVERSITY.
- BOAL, Augusto (1992) Games for Actors and Non-actors, ROUTLEDGE.
- HEATHCOTE, Dorothy & BOLTON, Gavin (Drama for Learning, HEINEMANN.